

الإرشاد الروحي

الأب حبيب هرمز
23 تموز 2007

مقدمة

ما دور الإرشاد الروحي في حياتنا، ومتى وأين بدأ، ولماذا علينا الإهتمام به؟ مجموعة أسئلة يحاول كل المعنيين بالجانب الروحاني الإشارة إليها بين الحين والآخر لأن الإرشاد يقوي أبناء الكنيسة وهم في مسيرتهم كحجاج نحو الأب السماوي.

كل المسيحيين مدعويين للسير خلف يسوع المسيح، وهذا السير الذي يشمل كل محطات العمر، بحاجة الى اسناد وتقوية من خلال الصلاة والعمل الجماعي، خصوصا عندما يكون الآخر بحاجة الى دعم روحي حيث يتعرض الى تجربة أو يعاني من تجارب الحياة.



الإرشاد الروحي هو خدمة يقدمها المرشد الروحي لمساعدة الآخر لخلق علاقة مباشرة مع الله، وليسغي الى ما يصبو اليه عندما يخلق هذه العلاقة. إن جوهر هذا الشكل من الإرشاد هو العلاقة بين الله والشخص. والشخص لا يتعلم ان يفهم العلاقة بطريقة أفضل من خلال الإرشاد ولكن بالأحرى أن يحيها. إن هذا يتوضح عندما نلاحظ ما يحصل لدى الشخص عندما يصغي ويستجيب الى الله.

إن هذه الممارسة تشمل كل الأشخاص: المراهق والمرأة والمدعو للتكريس ورجل الأعمال وغيرهم. إنهم جميعا يسعون الى الإقترب من الله ويعبروا عن عمق رجاؤهم وخوفهم وخيبتهم من خلال الصلاة والانتباه الى الله. ولكن لا يعني تحويل المسؤولية الشخصية للآخر بل تحملها من قبل الشخص ذو الشأن.

الإرشاد الروحي هو أكثر من نصيحة أو حل مشكلة. إنه مرتبط بخبرة الشخص الحقيقية عن علاقته بالله؛ كحديث بين شخصين حيث يتأكد الشخص من صواب طريقه في الحياة. لذلك الإرشاد هو خبرة أكبر من المشورة الدينية أو الروحية.

يجب أن نعلم هنا إن كل اشكال الحياة الإنسانية لها طابع: جسد -روح، لذلك فالإرشاد يجب أن يهتم بالجوانب البشرية كلها كي يكون ذو تأثير وفعالية وإلا قد يؤدي الشخص إذا تناول جانب واحد فقط. من هنا فالإرشاد يجب أن يتناول الأفعال الخارجية للشخص والأفعال الداخلية (أي عمل القلب).

سأستعرض مراحل الإرشاد عبر التاريخ ومناقشة ذلك في ضوء المتغيرات السريعة التي نمر بها كخلاصة لما أكد عليه الروحاني الأب وليم باري William Barry في كتابه The Practice of Spiritual Direction 1996.



وليم باري

لقد اختلفت طرق الإرشاد الروحي عبر التاريخ. ولكن الباحثون حددوا ستة نماذج للإرشاد الروحي عبر التاريخ المسيحي وهي:

1- **آباء الصحراء في القرن الرابع** : نشأ هذا التقليد في صحراء مصر وفلسطين وسورية كطريقة للإرشاد الروحي. ربما كان السبب الأساسي آنذاك هو التكيف مع العزلة وقسوة العيش في البراري. لقد حاول الآباء الاستفادة من العزلة للبحث عن الله في اعماق قلوبهم. كان كل راهب يسعى ليلتقي بشيخ يسمى أبا Abba أو بشيخة تسمى أمّا Amma – كلمتين آراميتين تعنيان الأب والأم- ليستفاد من خبرتهم ويستعينوا بالصلاة. وكان الشيوخ يمتلكون خبرات متنوعة بسبب العمر والتجارب فكانت حياتهم مشحونة بروح الصلاة.

تشير كلمة أبّا أو أمّا الى موضوع العلاقة مثل العلاقة بين الطفل ووالديه والمبينة على واقع خبرة الأبوة أو الأمومة. ولكن الأساس كان الرغبة في معرفة إرادة الله. لذلك كانوا يأتون ليسمعوا كلمة الحياة. والسبب كان لنيل الشفاء من افرازات الضعف البشري لا للمناقشة أو تحليل أمر ما.

هنا كان للطاعة دور مهم، والطاعة تتطلب الثقة وإلا لن يكون هناك تمييز روحي بين الأفكار الخيرة والشريرة. لقد كان الباحث عن الإرشاد يتحدث عن التجربة التي جرب بها وكيف خلقت الإرتباك لديه فكان المرشد يطلع على تفاصيل حياة الشخص في القلاية.

تم اعتبار الله المعلم الأول والقلاية المعلم الثاني. ثم الأبأ والأمّا المعلم الثالث. وكان الإرشاد غير منظم بطريقة علمية حيث كان يمتد خلال فترة زمنية قد تمتد لسنوات وقد يموت خلالها المرشد الشيخ. ولكن الهدف الأساسي كان تحرير الراهب الشاب من إرادة الذات المتمحورة على الفردانية فقط.

2- **العصور الوسطى - الرهبنة البندكتية** : يوجد اليوم حوالي 183 دير تابع لهذه الرهبنة في أوروبا. يشترك الإرشاد الروحي في الرهبنة البندكتية في العديد من الأمور مع رهبان الصحراء ابرزها مفهوم الأب الروحي. ولكن سياق العلاقة معه مختلف. كان الدير مدرسة لتدريب الراغب كي يقود الآخرين الى الخلاص من خلال حياة النسك. وقد شمل هذا النظام الرهبنة النسائية أيضاً.



راهبان من العصور الوسطى

التدريب لدى البندكتيين يخص الحياة الخارجية والداخلية للراغب والراهب، حيث يمارس الراهب الطاعة والصمت والتواضع والمحبة الأخوية. ولكن القدرة على التمييز الروحي هي الأهم حيث يتشجع الراهب ليتعلم القيادة الروحية كي يخدم الجماعة فيما بعد.

يحاول الآباء البندكتيون تأسيس عناصر أساسية للإرشاد منبثقة من آباء الصحراء لتكون موازية للعنصر المواهبي مع جعل الطاعة للقوانين ومدير الدير والمرشد الروحي متساوية القيمة.



3- **العصور الوسطى - العلمانيون** : في سنة 1216 اكدت الرهبنة الدومنيكية على القريب فأسست الرهبنة الثالثة والخاصة بالعلمانيين، تبعمهم الفرنسييسكان سنة1221 مؤكدين على الفقر ومبشرين بالإنجيل. وظهرت نشاطات مشابهة في اماكن اخرى بأوروبا فإشتهر البعض ومنهم هيدويخ (+1240)، القديسة جوليان من نورويج (+1416)، والقديسة كاترينا السيانية (+1380)، وكاترين من جنوا(+1510) بإيطاليا. لقد اثمرن هؤلاء ثمارا روحية من خلال كتاباتهن وارشادهن

الروحي لا زالت معتمدة حتى اليوم، كما طوروا لاهوتنا نسكريا خاصاً بذلك.

4- **المبادرة الإغناطية (اليسوعية 1495-1556):** طور القديس اغناطيوس الإرشاد من خلال تمارين روحية يتم خلالها تخليص النفس من المعوقات لتقترب من إكتشاف إرادة الله في حياتها. تتراوح فترة التمرين شهراً مستمراً يتخلله الصلاة والتأمل وامتحان الذات والعزلة كي يتم إكتشاف الطريقة المناسبة للشخص من قبل المرشد الروحي. وهنا يعطي المرشد للشخص امكانية إكتشاف قدراته وامكانياته للوصول الى الهدف.

لقد كان لموجة التقوى التي نشأت بعد المجمع التريدينيني في القرن السادس عشر دور في خلق تصادم مع مفهوم الإرشاد. كما حصل تصادم آخر بعد انتشار الثقافة الأكاديمية تدريجياً. كل هذه أدت الى توجه الإرشاد بإتجاه العمل الفردي. وبالمقابل نشأت الأخويات والإرساليات مع التأكيد على سر الإعتراف.

5- **فحص الضمير – القرن السادس عشر:** أكد هذا التيار على اهمية العلاقة بين المعرف والمعترف فصار المعرف مثل الديان حيث تم التأكيد على الطاعة وضرورة تنظيم اسلوب الإعتراف من خلال القراءة الروحية وممارسة الفضائل وصار معنى الإرشاد تخليص الشخص من ارتكاب الخطيئة وحالات ضميرية بحاجة الى تفسير لاهوتي مما خلق انطباع إن المعرف - وليس المعترف - هو ذو ايمان مستقيم. ربما حصل ذلك بسبب انتشار اللوثرية المقاومة لسر الإعتراف. ويتضح لنا الجانب الهرمي في الممارسة (الله يمنح النعمة والإرادة للمعرف، والمعرف يمنحها للمعترف) لقد برز خلال هذه الفترة القديس يوحنا الصليبي (+1591) وترازيا الأفيلية (+1582) وأوغسطين بيكر (+1641)



القديسة ترازيا الطفل يسوع



القديسة ترازيا الأفيلية



القديس يوحنا الصليبي

حصل التغيير مع القديسة ترازيا الطفل يسوع التي أكدت إن يسوع هو مرشد المرشدين وعليهم الإهتمام بالتأمل فيه وبه! ومن الجدير بالذكر إن الرجال كانوا مهيمنين على المرأة في موضوع الإرشاد الروحي رغم محاولات القديسات وغيرهن.

6- **اليوم :** هناك إجماع اليوم هو على كون الإرشاد فرصة لملاحظة الآخر وسماعه والإستجابة لنداءاته والإصغاء الى خبرة الله فيه. ثم هو فرصة للإحتفال بكل تواضع بكوننا مدعوين للحياة الجديدة بالمسيح والعمل كي يحيا المسيح فينا.

بعد المجمع الفاتيكاني الثاني أثرت المواهبية على الإرشاد حيث تم فصله عن سر الإعتراف وصار الإهتمام ينصب الى معاناة الناس نتيجة ازدياد تأثير الحياة المادية والإلحاد واستغلال المرأة كوسيلة للإثارة الجنسية والتحديات التي تواجه القيم المسيحية نتيجة غزو وسائل الإعلام الرأسمالية للسيطرة على حواس وفكر الشخص. كما ازداد الإهتمام بدور علم النفس والإجتماع وغيرها. لقد تحول مفهوم العلاقة بين المرشد والمسترشد الى علاقة اخوة بالمسيح؛ هما بحاجة الى ان يصغي الواحد للآخر. وهنا تغير مفهوم السلطة والطاعة. في إرشاد اليوم يتم التأكيد على

توسط ارادة الله ونعمته كي يشفى الشخص، مع ابراز حريته، وضميره ليتحمل مسؤوليته. واصبح المرشد هنا : المصغي والمرافق والام وصديق النفس والمسافر مع الآخر.

على الرغم من تغير مفهوم الإرشاد الروحي عبر التاريخ ولكن تبقى اهدافه: 1- النمو الشخصي 2- نمو العلاقة والحوار بين شخصين من خلال الصلاة والحياة اليومية 3- مشاركة شخصين في تمييز الروح (تمييز الفكرة الخيرة عن الشريرة) 4- نمو خدمة الفضيلة المعتمدة على اختبار النعمة 5- افتراض مسبق بأن الشخصين في علاقة مع الله 6- اعتراف الإثنين بأن الله يقودهما.

خاتمة

مهما يكن الأمر، فالإرشاد الروحي ضروري جدا في حياتنا اليوم: للعائلة والفرد وللمكرسين وغير المكرسين. ففوائده كثيرة بخدمته الإيمان لدى الأشخاص ونقل الخبرات وتعلم الصلاة والنضج الشخصي والإنساني.

إنها دعوة لنا أبناء كنيسة المشرق لنستعد لذلك وننتبه الى خطر الهجرة، وتوزع العائلات في اكثر من دولة، وضعف التعليم المسيحي في بلاد المهجر.

إن الإستعداد يتطلب العمل الجماعي، والتعاون مع الكنائس الصديقة، والإستفادة من وسائل الإعلام كالمواقع الألكترونية وصحافتنا المسيحية، والتحدث عنه في كنائسنا واماكن تجمعاتنا كالأديرة والمراكز الثقافية مثلا. كل هذا لتقوية العائلة والفرد. لذلك نحن بحاجة الى الإستعانة بكوادرننا المتدربة أو تدريب كوادرن جديدة تستقي من ينبوعنا الروحية مثل خبرة آبائنا عبر التاريخ مشرقيين كانوا أم غربيين.

نشرت المقالة في مجلة نجم المشرق العدد 52

البطريركية الكلدانية

بغداد